الإمام أبي عبد االله محمد المصطفى الرماصي (1137هـ): قبس من حياته وآثاره.

Al-Imam Abi Abdullah Mohammed Al-Mustapha Al Ramaasi: (died in 1137 Hijri date) A glance at his life and his effect.

محمد المنصوري*

جامعة محمد الأول وجدة – المغرب، mohamedmanssori@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/10/09 تاريخ القبول: 2022/10/29 تاريخ النشر: 2023/03/10

ملخص:

يقوم هذا البحث على فكرة أساسية هي التعريف بأحد أعمدة وأئمة المذهب المالكي، وهو العلامة أبي عبد الله محمد المصطفى الرماصي الجزائري (1137هـ) الذي يعد من خاتمة محققي المذهب المالكي في الغرب الإسلامي؛ لما له من جهود محمودة في خدمة المذهب وتطوير الدرس الفقهي المالكي ومناهجه. بالإضافة إلى جهوده في العلوم الأخرى كعلم العقيدة وعلم الكلام والأدب وغير ذلك.

ولقد بذل الإمام الرماصي جهودا مباركة في خدمة المذهب المالكي، وتمحيص رواياته وأقواله، والتدقيق في أقوال أئمته وتوجيهها، وصيانتها من كل ما يعتورها من خلل في الاستدلال أو الاستنباط أو التوجيه.

وقد توصل البحث إلى أن هذا الإمام لم يوف حقه من الترجمة والتعريف، كما تدل على ذلك المصادر والمراجع التي اهتمت بترجمته. كما بين البحث جانبا مهما في شخصية هذا العالم لطالما ظل خفيا، وهو الحس النقدي لدى هذا الإمام، وبراعته في التفريع والاستدلال والحجاج والمقارنة.

كلمات مفتاحية: الرماصي ، حياته ، آثاره ، المذهب المالكي.

Abstract:

This research is based on a fundamental idea which is introducing the scholar Abi Abdullah Mohammed Al-Mustapha Al-Ramaasi Al-Jazairi (died in 1137 Hijri date), one of the pillars and Imams of the Maliki School of Thought. He is considered as one of the last revisers of the Maliki School of Thought in the western region of the Islamic World due to his

considerable efforts on serving this school of thought and developing the Maliki jurisprudence and its curriculum as long as his efforts on serving other sciences such as theology, the Islamic Speculative Theology, and literature.

The Imam AL-Ramaasi has made some blessed efforts in order to serve the Maliki School of Thought, to revise its sayings and narratives, to examine and orient the sayings of its imams and to protect them from any sort of default on the level of inducting, deducting and orienting.

The present research has found that this imam did not get the attention he deserved on the level translating his works and introducing him as mentioned by the sources and references that have focused on translating his works. In addition, this research has clarified an important side of this scholar's personality which has always been eclipsed, especially his capacity of having a critical sense and his mastery of deducting, arguing and comparing.

Keywords: Al-Rommassi, His Life, Its Effects, The Maliki School.

---

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلا شك في كون الشيخ مصطفى الرماصي، من الأسماء العلمية الذائعة الصيت، مطلع القرن الثاني عشر، سواء في بلده بالغرب الجزائري، أو بالبلاد والأقطار الإسلامية الأخرى التي زارها ورحل إليها تَعَلُّما كفاس ومصر، أو تعليما كمازونة وغيرها.

بيد أنه بالرغم من كون الإمام الرماصي من الأسماء العلمية المرموقة، وأن شهرته فاقت حدود بلده شرقا وغربا، إلا أن الوقوف على جوانب من سيرته وحياته، وعطائه العلمي والثقافي، يبقى صعبا وبعيد المنال؛ وتأسيسا عليه أُنَبِّهَ إلى أن مترجمنا لم يلق من العناية والاهتمام ما يتناسب مع منزلته ومكانته العلمية.

وتأسيسا على هذا الوضع فقد خلت كتب التراجم والطبقات من التوسع في ذكر أخبار الإمام الرماصي وحياته العلمية والشخصية، كما لم تجُد إلا بالقليل من سيرته، فلم تسعفنا بترجمة حافلة نستبين من خلالها المكانة العلمية والمنزلة الفقهية له داخل المذهب المالكي، وكذا المحطات الكبرى في حياته رحمه الله، وما يتعلق بطلبه للعلم، وشيوخه، وتلامذته، ورحلاته، وكذا تدريسه وإنتاجه العلمي، وما نقلته بعض المراجع كشجرة النور الزكية، ومعجم أعلام الجزائر لا يزيد عن كونه من قرية رُمَّاصَةَ، وأنه صاحب الحاشية الشهيرة على شرح التتائي، وهي تعتمد في النقل على ما ورد في تعريف الخلف للشيخ الحفناوي.

وطلبا للكشف عن بعض المعالم الواضحة من حياة هذا العلم النحرير، والاطلاع على الأطوار التي مرّ بها وعايشها، يأتي هذا البحث لتسليط الضوء عن بعض المراحل الخفية في حياته، ولإماطة اللثام عن جهوده العلمية ومصنفاته.

ولبلوغ هذه الغاية فقد بحثت فيما وصلت إليه يدي من كتب الطبقات والتراجم، والفهارس والبرامج، والأثبات والمشيخات والمعاجم، ولم أظفر بما يسد الرمق من سيرة هذا الإمام الفذ – اللهم إلا النزر اليسير–؛ ويبقى مترجمه الرئيس هو الشيخ الحفناوي رحمه الله في كتابه: «تعريف الخلف برجال

السلف»، إذ خصّه بترجمة من صفحتين وهي أطول ترجمة له بحسب علمي، وغالب الذين ترجموا له عالة عليه، مكثرون للنقل عنه، إلا إشارات يسيرة وإضافات مفيدة، التقطناها من مواضع شتى، نُبينها في مواضعها إن شاء الله تعالى

أولا: أهداف البحث.

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من المقاصد منها:

التعريف بالإمام الرماصي وبيان حياته العلمية والشخصية.

الكشف عن جهود العلمية، ومساهمته في خدمة المذهب المالكي.

الإلماع إلى مكانته في المذهب وقيمة مصنفاته.

ثانيا: مشكلة البحث.

لتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الدراسة، لابد من طرح مجموعة من التساؤلات تشكل في مجملها إطاراً منهجياً لبحث هذا الموضوع، ويمكن صياغتها على النحو التالي:

من هو الإمام مصطفى الرماصي؟

وما هي جهوده في خدمة المذهب المالكي؟

وإلى أي حد أثر فيمن جاء بعده من أئمة وأعلام؟

ثالثا: الدراسات السابقة.

إن الدراسات الأصلية التي تناولت حياة الإمام الرماصي أو اهتمت عن سيرته قليلة جدا، ويمكن إجمال ما وقفت عليه فيما يلي:

ملتقى الإمام الرماصي وأعلام غليزان: الاجتهاد والتصوف. طبع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالجزائر. ضم هذا البحث مشاركات عدة لمجموعة من الباحثين الجزائريين، حاول كل واحد التعريف بالإمام الرماصي من خلال جانب معين من جوانب حياته.

كتاب أجوبة الرماصي على أسئلة بركة التطواني فيما أشكل عليه من كلام مختصر خليل وبعض شروحه. تحقيق الباحثين عبد الفتاح مغفور، وعبد الباسط صيد. طبع ذاكرة الأمة، منشورات وزارة

الأوقاف والشؤون الدينية بالجزائر عام 2015م. حيث ضم القسم الدراسي للكتاب تعريفا موجزا بحياة الإمام الرماصي وجهوده العلمية.

مقال بعنوان: "الفَقيهُ أبو عَبدِ الله محمَّد المصطفَى الرُّمَّاصي حيَاتُه وآثَاره ومكَانَته في المذهبِ الْمَالكِي، للدكتور: مراد بن عبد الله أشهيلي. نشر بمجلة المدونة ، السنة السابعة، العدد 29، ذو القعدة 1442هـ/ يونيو 2021م.

رابعا: منهج البحث.

تبعا لطبيعة البحث وخصوصيته فإن الباحث سيزاوج بين أكثر من منهج واحد؛ استجابة لبيان ما يرومه مقام الدراسة ويمكن بيان هذه المناهج فيما يلي:

المنهج الوصفي الاستقرائي: ومواطن إعماله هي وصف المحطات البارزة في حياة الشيخ الرماصي، ورصد ملامح وأطوار حياته العلمية والشخصية.

المنهج التوثيقي: وقد دعت الحاجة إليه لتوثيق مخرجات المنهج الوصفي الاستقرائي، بحيث يستدل على ذكر فيه؛ كي لا يبقى مجرد كلام مرسل، يفتقر إلى الإثبات.

المنهج التحليلي: ويقوم على النظر التحليلي لما تم استقراؤه ووصفه وتوثيقه، ومحاولة النظر إلى تلك الجوانب من زوايا مختلفة، تؤدي في الأخير إلى اكتشاف وتلمّس مواطن الفرادة المنهجية والعلمية في شخصية هذا الإمام.

خامسا: خطة البحث.

المقدمة: ضمّنتها أسباب اختيار الموضوع، وأهدافه، والدراسات السابقة حوله، بالإضافة إلى بيان منهجه، وخطته.

المبحث الأول: اسمه ونسبه، ومولده ونشأته.

المطلب الأول: اسمه ونسبه ونسبته وكنيته.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثاني: طلبه للعلم وشيوخه وتلاميذه.

المطلب الأول: طلبه للعلم.

المطلب الثاني: شيوخه.

المطلب الثالث: تلاميذه.

المبحث الثالث: وفاته وآثاره العلمية، وثناء العلماء عليه.

المطلب الأول: وفاته.

المطلب الثاني: مصنفاته وآثاره.

المطلب الثالث: مكانته وثناء العلماء عليه.

الخاتمة: بيّنت فيها أهم الخلاصات والنتائج التي توصلت إليها في البحث، كما ذيلتها بعدد من التوصيات والمقترحات.

وأخيرا فإن هذا جهد بشري متواضع يراد به لفت الانتباه إلى مكانة هذا الإمام وبيان درجته العلمية، والتعرف على جهوده في خدمة المذهب المالكي، وما كان جهدا بشريا فإنه معرض لأن تعتور مباحثه عيوب ونقائص لا ينفك عنها جهد بشري، إذ لا يخلو بحث من خلل، ولا كلام بشر من زلل، وتأسيسا عليه أعتذر في خاتمة هذه الفاتحة عما شابه وخالطه من ذلك. وفي الختام أسأل الله أن يتقبل هذا الجهد وأن ينفع به، وأن يرزقنا السداد في القول والعمل، إنه سميع مجيب.

2. اسمه ونسبه ومولده ونشأته

1.2 اسمه ونسبه ونسبته وكنيته

هو الإمام الجليل، العلامة المحقق، أوحد الدهر، ومفرد العصر، بقية المجتهدين من العلماء المحصلين، الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرُّمَّاصِي المعَسْكَرِي الجزائري.[1]

والرُّمَّاصِي – بضم الراء وتشديد الميم بعدها صاد مكسورة – نسبة إلى رُمَّاصَةَ، وهي إحدى قرى ولاية مَعَسْكَرْ بالجزائر.

(1) انظر ترجمته في الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف:(ص:566-567). عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر: (ص:151). إسماعيل البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: (374/4). إسماعيل البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: (311/2). عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: (247/10).

وأما المِعَسْكري – بفتح الميم والعين، وإسكان السين، بعدها كاف مفتوحة– فنسبة إلى مَعَسْكَر وهي اليوم من الولايات الجزائرية الكبرى. وبعض الكتب قد تُسميه بـ «محمد» بدل «مصطفى».[1]

وقد نبَّه الحفناوي على أن هذا خلاف الجاري على ألسن العلماء.[2] وهو كذلك خلاف ما جرى عليه الفقهاء أيضا في كتبهم ومصنفاتهم من الترميز له بـ «طفى» اختصارا لاسمه «مصطفى».[3] وعلى كل حال فإن الراجح في تسميته هو ما ذكرناه: «محمد المصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرُّمَّاصِي»، هكذا هي ترجمته على الأصح في الكتب التي عنيت بالترجمة له، ويتأكد لنا هذا أيضا من خلال الرجوع إلى نسخ كتبه المخطوطة مثل أجوبته على أسئلة علي بركة التطواني (ت1126هـ)، وحاشيته على شرح التتائي على مختصر خليل، وشرحه على عقيدة السنوسي؛ فقد اتفقت غالبها على تسميته بـ: «محمد المصطفى الرماصي».[4]

والذي يحسم لنا هذا الأمر ويبينه بوضوح، هو ما ورد على قيد ختام نسخ المخطوطات السالفة الذكر، فقد صرّح فيها الإمام الرماصي باسمه كاملا، من ذلك ما ختم به أجوبته على أسئلة بركة التطواني ونص ما قاله: «وكتب مسلما على من يقف عليه، عُبيد الله أصغر عبيده وأحقرهم، محمد المصطفى الرماصي». فهذا نص صريح من الإمام الرماصي في إثبات اسمه، يرفع كل مجالات الشك والتأويل ويضعنا أمام اسمه الصحيح بيقين.

كما اختلف المترجمون كذلك في اسم جده الثاني، فتارة يسمونه مؤمن كما هو صنيع الحفناوي في تعريف الخلف،[5] وتارة يسمونه موسى، كما ورد عند الكتاني وغيره.[6] ولا أدري من أين تطرق لهم

---

(1) تعريف الخلف برجال السلف: (ص:566).

(2) نفسه: (ص:566).

(3) انظر البناني، حاشية البناني: (6/1)، وحاشية الدسوقي، لمحمد بن أحمد الدسوقي: (2/1)، ومنح الجليل، للشيخ عليش:(65/2)، ومصادر الفقه المالكي، لبشير ضيف: (ص:218)، ومصطلحات المذاهب الفقهية، لمريم الظفيري، (ص:139)، والمكتبة الإسلامية، لعماد علي جمعة:(ص:177).

(4) انظر: حاشية الرماصي على شرح التتائي: (اللوحة 1/و). أجوبة الرماصي على أسئلة بركة التطواني فيما أشكل عليه من كلام مختصر خليل وبعض شروحه: (ص:368).

(5) تعريف الخلف: (ص:566-567).

(6) معجم أعلام الجزائر: (ص:151)، وشجرة النور الزكية: (482/1)، وفهرس الفهارس: (507/1).

هذا الوهم، والمعول على ما ذكره الحفناوي في تعريف الخلف، إذ ترجمته هي الأصل ومن جاء بعده ناقل عنه.

أما **نسبته** فقد اتفقت المصادر التاريخية[1] على نسبته إلى «رماصة» وهي قرية صغيرة من قرى «ولاية معسكر» بغرب الجزائر -كما بيناه سابقا-، وقد رمز له الشيخ محمد الأمير في كتابه المجموع، بحرف الراء (ر) باعتبار نسبته إلى رماصة، وما ذكره الحفناوي من أن رماصة من أعمال مستغانم، فيحمل على أنها كذلك بحكم الجوار فقط.

وبعض المصادر تنسبه إلى قلعة بني راشد فتصفه بالرَّاشِدِي أو بالقَلْعِي،[2] وهو اختلاف في التسمية فقط، فقد كانت البلاد الراشدية تضم ما يسمى حاليا بولاية معسكر، وقد صرّح الشيخ الرماصي نفسه بهذه النسبة، فكان كثيرا يردد في كتبه (في بلادنا الراشدية).

وفيما يخص كنيته فإن المتتبع للمصادر التاريخية، يجدها لم تذكر له أية كنية، عدا ما انفرد به محمد مخلوف في شجرة النور الزكية من أنه يتكنى بأبي الخيرات.[3] وذكر الحفناوي ما يفيد أنه يكنى بأبي عبد الله فقال: «أبي عبد الله محمد المصطفى الرماصي».[4] وبهذه الكنية اشتهر في مقدمات كتبه وعند من من اهتم بترجمته وذكر أخباره.

1.3 مولده ونشأته وطلبه للعلوم

لم تفدنا كتب التراجم التي اهتمت بالترجمة له بتاريخ ولادة الشيخ الرماصي، غير أنه يمكن تحديد ذلك اعتمادا على تاريخ وفاته، فقد ذكر الكتاني في فهرس الفهارس إلى أن وفاته كانت عن سن عالية جاوزت التسعين سنة، ونص ما قال الكتاني: «الشيخ مصطفى بن عبد الله بن موسى الرماصي القلعي المعسكري المتوفى سنة (1136هـ) عن سن عالية جاوز التسعين».[5]

فبناء على أن تاريخ وفاته كان في عام (1136هـ/1723م) ووفاته كانت عن تسعين سنة، أمكننا

---

(1) تاريخ الجزائر الثقافي: (183/1)، إيضاح المكنون: (374/4)، هدية العارفين:(311/2)، معجم أعلام الجزائر:(ص:151)، تعريف الخلف برجال السلف:(ص:566-567)، فهرس الفهارس:(507/1)، شجرة النور الزكية: (482/1).

(2) انظر فهرس الفهارس: (507/1)، وتاريخ الجزائر الثقافي: (202/1).

(3) شجرة النور الزكية: (482/1).

(4) تعريف الخلف برجال السلف: (ص:566).

(5) الكتاني، فهرس الفهارس: (507/1).

استنتاج تاريخ مولده فتحدد لنا في حدود العام: (1046هـ/1634م) أو قبله أو بعده بقليل، والله أعلم بالصواب. وعليه فالإمام الرماصي يعد من علماء القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي.

أما مكان ولادته فقد ولد بقرية رماصة، قرب قلعة هوارة شمال مدينة معسكر، وقد نصّ على ذلك الشيخ المهدي البوعبدلي.[1]

أما طلبه للعلوم فلم يصلنا شيء عن طريقة طلب الإمام الرماصي للعلوم، ولا عن فترة ذلك ولا عن مكانه، غير أنه لن يخرج غالبا عن الطريقة المألوفة لدى المالكية في إفريقية والأندلس، والتي انتقلت إليهم من زمن أسلافهم الذين مضوا؛ وقد وصف هذه الطريقة «ابن خلدون» فقال: «وأمّا أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها إلا أنّ عنايتهم بالقرآن واستنظار الولدان إيّاه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر ممّا سواه وعنايتهم بالخطّ تبع لذلك. وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس لأنّ سند طريقتهم في ذلك متّصل بمشيخة الأندلس الّذين أجازوا عند تغلّب النصارى على شرق الأندلس، واستقرّوا بتونس وعنهم أخذ ولدانهم بعد ذلك».[2]

وملخص هذه الطريقة أن أول ما يبدأ به الولدان هو حفظ القرآن الكريم بالكتاتيب المخصصة لذلك، مع بعض مبادئ العلوم الأولية، فإذا أتم حفظ القرآن الكريم وتمكن من بعض صغار المتون والعلوم، انتظم بعدها بالمساجد والمحاضر أو الزوايا والرباطات، يجالس فيها الشيوخ ويتلقى عنهم، وغالب ظننا أن الشيخ الرماصي لم يخرج عن هذه الطريقة، التي مرَّ بها غيره من العلماء، بدليل أنه سار عليها بعد أن تولى التدريس والتعليم، وبقيت سائرة إلى يوم الناس هذا.

3. شيوخه وتلاميذه وآثاره

1.3 شيوخ الإمام الرماصي:

أما بخصوص شيوخه فإن المصادر التاريخية . التي توفرت بأيدينا لم تصرح باسم أي شيخ من شيوخ الرماصي رحمه الله، الذين أخذ عنهم جملة معارفه وعلومه، أو تتلمذ على أيديهم، أو الذين أثروا فيه وفي فكره

(1) المهدي البوعبدلي، الأعمال الكاملة: (45/1).

(2) عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: (741/1).

ومسيرته العلمية، سواء داخل القطر الجزائري أو خارجه من البلدان الأخرى التي سافر إليها كمصر كما سيأتي، عدا ما ذكره «محمد مخلوف» من كونه قد زار مصر وأخذ عن الخرشي والزرقاني،[1] بل إن مترجمه الرئيس «الحفناوي»، لم يذكر له أي شيخ من الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم، ولقد ساهم «الشيخ الرماصي» رحمه الله في هذا الوضع إذ كان ضنينا لا يصرح في كتبه بأسماء الشيوخ الذين درس عليهم أو تلقى عنهم، بل وجدناه كثيرا يتكتم على أسماء شيوخه بعبارات من قبيل: (قاله شيخنا)، أو (قال شيخنا البدر)، ومن أمثلة ذلك ما قاله في الجواب عن مسألة جزاء الصيد في الحج، قال: «أشار شيخنا البدر لهذا وفيه نظر».

لقد عاش مترجمنا رحمه الله في الفترة التاريخية الممتدة ما بين (1046هـ/1634م) إلى عام:(1137هـ/1723م)، ومن المعلوم أن هذه الفترة كانت تشهد وجود عدد من العلماء والأساتذة والمربين، سواء داخل موطن عيش الشيخ بالجزائر، أو باقي البلاد الإسلامية الأخرى التي زارها وارتحل إليها. وما من شك في كون «الشيخ الرماصي» قد تلقى عن هؤلاء وأخذ من علمهم، فأثروا فيه وفي تفكيره وتكوينه؛ ومن الشيوخ الذين استطعنا تحديد أخذه عنهم: «الشيخ عمرو التراري بن أحمد المشرفي»، والشيخ الخرشي، والشيخ عبد الباقي الزرقاني، والشيخ أبي رأس، والشيخ محمد بن علي بن الخروبي القلعي، وفيما يلي وقفة مع التعريف بهؤلاء الشيوخ.

1. الشَّيْخُ عَمْرُو التْرَارِي بَنْ أَحْمَدَ اَلمشْرِفِي.

وردت الإشارة لأخذ الشيخ الرماصي عنه في كتاب: «تاريخ الجزائر الثقافي» إذ ورد فيه أن الرماصي رحمه الله قد رثى شيخه عمرو التراري بن أحمد المشرفي، لما توفي بقصيدة طويلة. ونص ما قال أبي القاسم سعد الله في كتابه: «ولا شك أن الرثاء يكون أصدق إذا قيل في الشيوخ والأصدقاء والأقارب، ولكننا لا نجد من هذا إلا القليل كما ذكرنا، ومن ذلك رثاء مصطفى الرماصي القلعي لشيخه عمرو التراري بن أحمد المشرفي، وهي قصيدة جيدة وطويلة (150 بيتا)، ويقال إن الرماصي قد نسج فيها على منوال أبي حيان في رثاء شيخه أيضا في وزنها وقافيتها وعدد أبياتها».[2] وتبدأ هذه المرثية بهذه الأبيات:[3]

خَلِيلَيَّ عُوجَا بِي عَلَى طُلُلٍ عَفَا *** مَعَالِمُهُ قَدْ غُيِّرَتْ وَمَعَاهِدُه

وَأَسْفَتْ عَلَيْهِ اَلسَّافِيَاتُ بُعَيْدَنَا *** دِقَاقَ اَلحَصَا فَانحَطَّ مِنْهَا أَجَالِدُه

لقد تأثر الشيخ الرماصي رحمه الله بوفاة شيخه عمرو التراري أشد التأثر، كما يدل عليه صنيعه من خلال هذه المرثية الطويلة التي ضمت (150 بيتا).

2. الشيخ أبو عبد الله الخرشي: (1001هـ):

(1) محمد مخلوف، شجرة النور الزكية: (482/1).

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، لأبي القاسم سعد الله: (279/2).

(3) توجد نسخة من المخطوطة بالخزانة العامة بالرباط، عدد: (2787 د).

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي، أحد أعلام المالكية الأجلاء، وفقهائها النبهاء، قال عنه «محمد مخلوف»: «الفقيه العلامة البركة القدوة الفهّامة شيخ المالكية» أخذ عن والده، والبرهان اللقاني، والنور الأجهوري، وغيرهم، وأخذ عنه جلة منهم: علي اللقاني، وشمس الدين اللقاني، وأحمد الشبرخيتي، ومحمد بن عبد الباقي الزرقاني، وبالإجازة أبو سالم العياشي، له مصنفات منها: شرح كبير على المختصر، وآخر صغير، توفي في ذي الحجة سنة: (1001هـ/1689م). [1]

ذكر الشيخ الكتاني أن الشيخ الرماصي أخذ عن أبي عبد الله الخرشي، في خضم الحديث عن إثبات تلقي الشيخ أبي طالب المازوني عن الشيخ علي الأجهوري، فتصدى الكتاني إلى بيان أن ذلك باطل، إذ إن الشيخ أبا طالب المذكور لم يأخذ عن الشيخ الرماصي بله أن يأخذ عن شيخ مشايخ الرماصي، الشيخ علي الأجهوري، ونص ما قال الكتاني: «(..) ولا عجب فالمؤلف المذكور يظن أن أبا طالب كان معاصراً للشيخ مصطفى الرماصي وشيخ شيوخه أبي الحسن عليّ الأجهوري، وهو باطل فإن أبا طالب لم يأخذ عن الرماصي فضلاً عن شيخ مشايخه الأجهوري». [2]

وقد تبين لنا من خلال هذا النص أن الشيخ الأجهوري يُعد شيخ مشايخ الرماصي، وأن تلامذته شيوخ للرماصي، ويعتبر الشيخ عبد الباقي الزرقاني، والشيخ علي الأجهوري أبرز تلاميذ الأجهوري، وليس ببعيد أن يكون الرماصي قد أخذ عنهم، ويتقوى هذا الزعم بقوة إذا ما علمنا أن الشيخ الرماصي قد زار مصر وتتلمذ على بعض شيوخها، فضلا عن تصريح صاحب الشجرة بذلك. [3]

بل إن مما يزيد هذا الاحتمال قوة ويقينا، ما ورد في فهرس الفهارس أيضا، من أن الشيخ أبي محمد عبد القادر الكوهن ساق في ثبته إسناد الفقه المالكي، وإسناد شرحي الخرشي والزرقاني، عن شيخ الجماعة بفاس أبي محمد عبد السلام بن أبي زيد البازمي، عن الشيخ أبي طالب المازوني المذكور، قال: عن أبيه عليّ وكان من المعمرين جاوز المائة، عن الشيخ مصطفى بن عبد الله بن موسى الرماصي القلعي المعسكري، المتوفى سنة:(1136هـ) عن سن عالية جاوز التسعين، عن الخرشي والزرقاني، كلاهما عن الأجهوري. [4] وبهذا يتضح بجلاء ثبوت أخذ الرماصي عن الخرشي والزرقاني، سواء كان هذا الأخذ بالتلقي أو بالرواية، والله تعالى أعلم.

3. الشَّيْخُ عَبْدُ اَلبَاقِي اَلزُّرْقَانِي: (1099هـ):

هو أبو محمَّد عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني، الفقيه الإمام العلامة النظار العمدة المحقق الفهّامة شرف العلماء ومرجع المالكية والفضلاء، أخذ عن النور الأجهوري لازمه وشهد له بالعلم، والبرهان اللقاني، والنور

(1) انظر ترجمته في: شجرة النور الزكية: (459/1).
(2) فهرس الفهارس: (507/1).
(3) شجرة النور الزكية: (482/1).
(4) فهرس الفهارس: (507/1).

الشبراملسي، والشمس البابلي، وأجازه جل شيوخه، وعنه أخذ جماعة منهم: ابنه محمد، وأبو عبد الله محمَّد الصفار القيرواني، له مؤلفات منها: شرح على المختصر قال عنه محمد مخلوف: «تشد إليه الرحال» دل على فضل وإطلاع ونبل، وله أيضا: «شرح العزية»، وشرح على خطبة خليل»، للناصر اللقاني، ثبت مولده بمصر سنة: (1020هـ) وتوفي في رمضان عام:(1099هـ/1687م).[1]

وما قيل في «الشيخ الخرشي» هو نفسه ما يقال في «الزرقاني»، إذ اشترك الرماصي رحمه الله في الرواية عنهما جميعا، كما بيناه قبل، وأشار «محمد مخلوف» في شجرة النور إلى أخذ الرماصي عنه بقوله: «أخذ عن شيوخ مازونة ومصر منهم الخرشي والزرقاني».[2]

4. الشيخ محمد بن علي بن الخروبي القلعي:

نُسب الخروبي إلى صفاقس وطرابلس والجزائر. كما عرف عنه أنه كان صاحب حظوة عند العثمانيين. ولعله زار أو تربى في إستانبول قبل قدومه إلى الجزائر. وكان قد تشبع بالروح الصوفية السائدة عندئذ في المشرق من شاذلية وقادرية وبكداشية وغيرها.

وقد قيل إنه أخذ العلم عن علماء مشارقة ومغاربة. ومن هؤلاء أحمد زروق دفين مصراته ومحمد بن عبد الله الزيتوني ومحمد بن مرزوق، وتلاميذ «عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي. وجميعهم يمثلون أقطاب حركة التصوف في المغرب العربي[3]

زار الشيخ الخروبي فاس ومراكش وغيرهما وأخذ عليه علماء المغرب أيضا، وكان فصيح اللسان وجريئا، وقد تولى الخطابة في أحد مساجد الجزائر، كما عرف عنه أنه كان جماعا للكتب، وقد قيل إنه ترك خزانة كتب ضخمة في مراكش، وجُل مصنفاته في الأوراد والأذكار والصلوات المشيشية.[4]

وقد صرح «الشيخ الرماصي» بتلقيه عن هذا الشيخ في إجازته لأحد تلامذته وهو محمد بن علي الجعدي، كما ذكر أنه أخذ عنه أكثر العقائد السنوسية، ونص ما قال:«وأكثر قراءتي في العقائد السنوسية على الشيخ المحقق الولي الصالح سيدي بن علي بن الخروبي القلعي».[5]

5. الشَيْخُ محمد بَنْ الشَّارَفِ اَلمازُوني: (1233هـ):

هو العالم المعمر الصالح أبو طالب محمد بن عليّ بن عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الشارف المازوني المتوفى بمازونة سنة (1233هـ) عن أزيد من المائة،[1] ذكر الرماصي في إجازته لتلميذه الجعدي أنه أخذ عنه

---

(1) انظر ترجمته في: شجرة النور: (441/1)، الأعلام للزركلي: (272/3).

(2) شجرة النور الزكية: (482/1).

(3) تاريخ الجزائر الثقافي: (498/1).

(4) انظر تاريخ الجزائر الثقافي: (498/1).

(5) تعريف الخلف: (ص:530).

صحيح البخاري، فقال: «وأما البخاري فأخذته عن سيدي محمد بن الشارف المازوني».[2] غير أن الذي يُعكر على هذا التلقي، هو سنة وفاته، إذ المشهور أن ابن الشارف توفي عن سن جاوز المائة والثلاثين، وبالتحديد عام (1233هـ)، والرماصي رحمه الله توفي عن سن جاوز التسعين وبالضبط سنة (1137هـ)[3] فأنى له أن يكون شيخا له وبينهما من الزمن (97 سنة) ؟؟.

وقد استوقف هذا الأمر الكتاني أيضا في فهرسه، خلال الحديث عن مرويات وأسانيد ابن الشارف السابق الذكر، فقال في سياق إبطال إدراك ابن الشارف لإجازة الشيخ الثعالبي العامة لأهل عصره: «لأن أبا مهدي وإن كان أجاز عامة لمن أدرك حياته فأتى للشيخ أبي طالب (ابن الشارف) إدراكها لأنه مات سنة (1233هـ) عن نحو مائة قيل وثلاثين، فكيف يمكنه إدراك حياة أبي مهدي الذي مات سنة (1080هـ)، فبينهما عشرات السنين (..) ولا عجب فالمؤلف المذكور يظن أن أبا طالب كان معاصراً للشيخ مصطفى الرماصي وشيخ شيوخه أبي الحسن عليّ الأجهوري، وهو باطل فإن أبا طالب لم يأخذ عن الرماصي فضلاً عن شيخ مشايخه الأجهوري، وإن كان أهل مازونة يظنون أن الرماصي من تلاميذ أبي طالب. ومن العجب أني لما حدثت بذلك ممن يظن به الاعتماد في مازونة كانت بيدي حاشية جده أبي طالب المذكور على الخرشي، فأريته وجهاً منها نقل فيه عن الرماصي تسع مرات».[4]

يتبين لنا من خلال ما سبق أن ابن الشارف المازوني يتعذر تتلمذه على الرماصي، للفارق الزمني بينهما (97 سنة) فأحرى أن يكون شيخا له، ولسنا ندري من أين سرى هذا الوهم والاضطراب، إذ قد جاء في إجازة الشيخ الرماصي لتلميذه الجعدي ما يؤكد هذا التلقي كما سبق بيانه.[5]

ولا يبعد أن يكون هذا خطأ في النقل أو تصحيفا من النساخ، أو من صاحب كتاب تعريف الخلف، والله أعلم، غير أن هذا يتقوى إذ علمنا أن والد أبي طالب المذكور واسمه: محمد بن علي الشارف المازوني كان كذلك من الشيوخ المعمرين الكبار في الجزائر، كما كان له دور كبير في نشر العلم وتدريسه، وكذا في الجهاد ضد العدو الإسباني وقد شارك في فتح وهران الثاني (1205هـ) وعُد من علماء الرباطات في تلك المرحلة.[6]

وقد أشار لهذا صاحب التاريخ الثقافي للجزائر فقال: «كما اشتهر من علماء الرباطات أيام الفتح الثاني محمد بوجلال والطاهر بن حوا «ومحمد بن علي الشارف المازوني وولداه»، وكذلك محمد المصطفى بن زرفة. وقد

---

(1) فهرس الفهارس:(506/1).

(2) تعريف الخلف: (ص:530).

(3) فهرس الفهارس: (506/1).

(4) نفسه: (507/1).

(5) تعريف الخلف: (ص:530).

(6) راجع تاريخ الجزائر الثقافي: (272/1).

أقاموا تحت رئاسة بوجلال عند جبل المائدة قرب وهران (للتضييق على الكفار) وكانوا هناك يدرسون ويحاربون أيضا».[1] وبناء عليه قد يكون شيخ الرماصي المذكور في الإجازة هو محمد بن علي الشارف المازوني، وليس ابنه أبا طالب المازوني المشهور بابن الشارف، والله أعلم.

6. الشيخ عَبْدُ الرَّحْمَن أَبُو زَيْدٍ اَلرَّاشِدِي:

من علماء قلعة بني راشد موطن الشيخ الرماصي، وقد صرح بالأخذ عنه في إجازته لتلميذه الجعدي، وأشار إلى أنه أخذ عنه بعض صحيح البخاري.[2]

إن ندرة ما كتب في التراجم التاريخية لم يمكنا من الوقوف بجلاء على شيوخ مترجمنا لذلك استندنا إلى بعض الكتب التاريخية ووظفنا المراحل التاريخية لعيش الشيخ في تحديد بعض من شيوخه وتلاميذه، عسى أن يزيل ذلك بعض الغموض الذي التف هذا العالم الجليل، والله من وراء القصد.

2.3 تلاميذ الإمام الرماصي.:

إن الحديث عن تلاميذ الشيخ الرماصي أشد غموضا من الحديث عن مشايخه، إذ لم أعثر له على تلميذ مباشر قد أخذ عنه أو تتلمذ على يديه، غير أن الذي لا غبار عليه أنه قد تخرج علي يديه أفواج، إذ قد تصدى للتعليم بمازونة فترة من الزمن، وكان موضع تدريسه هناك يتنافس حوله الطلبة؛[3] ثم انتقل بعد ذلك للتدريس ببلاده وبنى رباطا بجهده الخاص، كان له دور كبير في الغرب الجزائري في مقاومة المحتل الإسباني، ويروي لنا ذلك صاحب كتاب تاريخ الجزائر الثقافي فيقول: «وقد شكلت الرباطات دورا كبيرا في فتح وهران الأول سنة: (1119هـ) والثاني سنة: (1205هـ). واشتهر من علماء الرباطات في الفتح الأول مصطفى الرماصي وأبو الحسن (أوحسون) العبدلي».[4]

كما يحكي لنا أيضا بطولة وشجاعة الرماصي، إذ استمر في التدريس ولم ينقطع عنه حتى في أوج الحرب المستعرة بالجزائر مع العدو الإسباني، ونص ما قال: «وكثير من العلماء والصلحاء كانوا مجاهدين إما بطريقة غير مباشرة كما كان المجاجي وإما بطريقة مباشرة كما فعل مصطفى الرماصي وأمثاله. فقد روى عبد «الرحمن الجامعي المغربي»، الذي ذهب إلى الجزائر بعد فتح وهران الأول سنة: (1119هـ)، قصة مفيدة عن مشاركة العلماء في

(1) تاريخ الجزائر الثقافي: (272/1).

(2) الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف: (ص:530).

(3) نفسه: (ص:567).

(4) تاريخ الجزائر الثقافي: (272/1).

جهاد الإسبان، فقد وجد الشيخ «محمد مصطفى الرماصي» المعروف بالقلعي، يسكن بأهله بيوت الشعر قرب غابة في رأس جبل ببلده، وكان يأوي إلى أهله ليلا ويظل بالنهار في داره ومسجده يطالع كتبه ويقرئ طلبته. ولما سأله الجامعي عن ذلك أجابه الرماصي بأنهم كانوا على تلك الحال على عهد الإسبان خوفا منهم لأنهم لم يكونوا يأمنون جانبهم في الدور إذ قد يطرقونهم ليلا، لذلك خرجوا لبيوت الشعر ليسهل الفرار منها إلى الغابات والجبال».[1]

ومن تلاميذه الذين استطعنا أن نحدد أخذهم عن الشيخ الرماصي: «المنور التلمساني»، و«محمد بن علي الشريف الجعدي»، ويمكننا أن نعتبر «عبد الرحمن الجامعي» من تلاميذ أيضا فقد لقيه وجالسه لما رحل إلى الجزائر عام: (1119هـ) كما ذكر أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الثقافي، إذا أمكن اعتبار هذا اللقاء من أسباب التتلمذ.

1. المنَوَّرُ التِلِمْسَانِيُ:

هو محمد بن عبد الله بن أيوب المعروف «بالمنور التلمساني»، دفين مصر قال عنه الكتاني: «الأديب المسند الرحالة»[2] ونقل الكتاني قول الزبيدي تحلية الزبيدي له: بـ: «العالم الفاقد للأشباه».[3] توفي المنور في 12 شوال (1173هـ) بمصر بعد رجوعه من الحج».[4]

لقي المنور التلمساني شيخه الرماصي وأجازه وروى عنه، وقد أفادنا بذلك «أبو القاسم سعد الله» في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي» ونص ما قاله: «وشهد القرن الثاني عشر أيضا موجة أخرى من العناية بالحديث رواية ودراية على يد مجموعة من العلماء، منهم «المنور التلمساني» الذي لا نكاد نعرف له تآليف؛ غير مجموعة من الإجازات التي منحها له شيوخه في المغرب والمشرق، ومن شيوخه في الجزائر مصطفى الرماصي».[5]

كما أشار الكتاني إلى ذلك عند الحديث عن تملكه لإجازات شيوخ المنور السابق الذكر فقال: «وعندي إجازات مشايخه الثمانية هؤلاء كلهم بخطوطهم في مجموعة ظفرت بها في مصر، ما عدا إجازة صاحب المنح، وما عدا الشيخ مصطفى الرماصي الجزائري وأبي علي بن رحال فإنه روى عنهما أيضاً كما في ألفية السند».[6]

2. مُحَمَّدٌ بنْ عَلِي اَلشَّرِيفُ اَلجَعْدِيُ:

(1) تاريخ الجزائر الثقافي: (202/1-203).
(2) الكتاني، فهرس الفهارس: (570/2).
(3) نفسه: (570/2).
(4) نفسه: (571/2).
(5) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي: (34/2).
(6) فهرس الفهارس: (571/2).

هو محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن، الشريف نسبا، الجعدي وطنا، أجازه محمد بن عبد الله بن مؤمن الرماصي، وحلاّه بقوله: «الرضي الأرضى العالم العامل الحسيب سيدي محمد بن علي».[1]

نقل «الشيخ الحفناوي» في كتابه تعريف الخلف برجال السلف، إجازة الرماصي «للجعدي» من النسخة التي أجازه بها، ومما قرأه عليه: الألفية بشرح المرادي، وجمل المجرادي، والصغرى السنوسية في العقائد بشرح مؤلفها قراءة بحث وتدقيق، وحاشية الرماصي عليها، وبعض من صحيح البخاري، ثم قال: «أجزته في جميع مروياتي، وفي ما أجازني فيه أشياخي، منهم باللسان ومنهم بالبنان، من توحيد وفقه وحديث ولغة وبيان ومعان ومنطق وقراءات».[2]

3. عَبْدُ اَلرَّحْمَنِ اَلجَامِعِي:

سافر إلى الجزائر بعد فتح وهران الأول (1119هـ) ولقي عددا من العلماء هناك، منهم الشيخ مصطفى الرماصي فقد التقى به وأخذ عنهم كما بيّن ذلك العلامة المهدي البوعبدلي.[3]

ويقول أبو القاسم سعد الله مبينا ذلك أيضا: «ورَد على الجزائر بكتبه ومذكراته وأشعاره فشرح رجز المفتي الحلفاوي في فتح وهران الأول، والتقى بعلماء الجزائر أمثال «محمد بن ميمون»، والمفتي «الشاعر ابن علي»، والعالم الزاهد» أحمد بن ساسي البوني»، والفقيه «مصطفى الرماصي القلعي».[4] وقد نقل «أبو القاسم سعد الله» الله» لقاءه بالشيخ الرماصي أيضا في موضع آخر بيناه سابقا.[5]

4. مؤلفات الإمام الرماصي وآثاره العلمية.

لابد هنا من تسطير أمر مهم وهو أن الشيخ الرماصي قد اشتهر بعلمه وفقهه وتدريسه، ولم يشتهر بكتبه أو تلاميذه وشيوخه، لذلك فبالرغم من كونه مشهورا عند متأخري المالكية وجلهم ينقل عنه ويستشهد به، حتى إن «البناني» أكثر من النقل عنه كثيرا في حاشيته على التتائي، إضافة إلى نقل «الدسوقي» عنه في حاشيته على الشرح الكبير[6] مواضع كثيرة لا يمكن حصرها، كما نقل عنه «البناني» أيضا في حاشيته المسماة الفتح الرباني فيما

(1) تعريف الخلف: (ص:530).
(2) الحفناوي، تعريف الخلف: (ص:530).
(3) الأعمال الكاملة، للمهدي البوعبدلي: (178/3).
(4) تاريخ الجزائر الثقافي: (295/1).
(5) انظر: تاريخ الجزائر الثقافي: (202/1-203).
(6) حاشية الدسوقي: (2/1).

فيما ذهل عنه «الزرقاني»،[1] من أجوبته التي نحن بصدد التقديم في مواضع كثيرة، بل إن متأخري المالكية تواضعوا على الترميز له بـ«طفى» اختصارا لاسمه.[2] وبالرغم من كل هذه المكانة العلمية إلا أن ما وصلنا من مؤلفاته يُعد زهيدا بالمقارنة مع مكانته العلمية المرموقة، وأجمل فيما يلي ذكر ما وصلنا من مؤلفاته.

1. حاشية على جواهر الدرر للتتائي على مختصر خليل:[3]

تعتبر أهم مؤلفات الرماصي وبها اشتهر شرقا وغربا، وقد أكثر العلماء من النقل عنها واعتمدوها كثيرا، ولا شك أن المتانة الفقهية التي امتاز بها الرماصي ودقة التحريرات الفقهية التي فيها هي التي جعلتهم يجنحون إليها ويرتضونها، حتى إن تلميذ الشيخ الدردير محمّد بلقندوز المستغانمي، حكى عن شيخه أنّه كان يعتبر الرماصي من المحققين، ويقول إن حاشيته تغنيني

وقد اعتمدها أيضا الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد العدوي الشهير بالدردير في شرحه على المختصر، كما نقل عن الرماصي في شرحه على كفاية الطالب الرباني[4] والشيخ الدسوقي في شرحه على الدردير،[5] إذ ذكرها في في شرحه (327 مرة)، وقد رمز للرماصي بـ (طفى)، وساق من العبارات الدالة على أن واضعها عمدة في الفقه ومرجعا يعاد إليه، ومن بين عباراته قوله: (هذا حاصل ما حَرَّرَهُ طفى)، (واعتِراضُ طفى علَى الْمُصَنِّفِ)، (وارتضاه طفى)، أو(كما في طفى)، (وكذلك اعتمده طفى)، (واختار هَذَا طفى)، (وَتَعَقَّبَهُ طفى) إلى غير ذلك من العبارات.

---

(1) منح الجليل، للشيخ عليش:(65/2) وما بعدها.

(2) حاشية البناني: (6/1).

(3) توجد نسخ من مخطوطات هذه الحاشية بالأماكن التالية:

- نسخة بالمكتبة العامة بتطوان مسجلة تحت رقم 9.
- ثلاث نسخ بمكتبة مسجد تازة بالمغرب: الأولى: (رقم:247) تحتوي 224 ورقة، والثانية:(رقم:248) وتحتوي 206 ورقة، والثالثة: (رقم:695)، وتحتوي217 ورقة.
- نسختان بالمكتبة القاسمية، النسخة الأولى تتكون من جزأين، الأول يحتوي 298 ورقة، والثاني 180 ورقة. والنسخة الثانية تحتوي 248 ورقة، تاريخ نسخها يعود إلى سنة 1149 هـ، وهي مقيدة تحت رقم (52ف.).
- نسخة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية رقم (31 جك)، تحتوي 524 ورقة بخط مشرقي نسخي مُحلى بالأحمر، نسخها غنيم علي.
- نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، رقم الحفظ: (12570).
- نسخة بمكتبة الحرم المكي، بالمملكة العربية السعودية، رقم الحفظ: 8 مالكي، 8 مالكي مكرر.
- نسخة بالمكتبة الأزهرية بمصر رقم الحفظ: (558) 5030، (755) 12052.

(4) حاشية العدوي: (546/1).

(5) حاشية الدسوقي: (2/1).

وأما «الشيخ الصاوي» في بلّغة السّالك[1] فقال: «وللشيخ مصطفى الرماصي مُحَشِّي التتائي بصورة ر». أشار إليه بهذا الصورة (83 مرة) وبالاسم (11 مرة).

وكذلك رمز له «الشيخ الأمير» بحرف (ر) في كتابه: «الإكليل شرح مختصر خليل» ورجع إليه الشيخ «محمد بن أحمد عليش» في شرحه منح الجليل 67 مرة.[2]

2. أجوبة الرماصي على أسئلة التطواني:

اشتهر هذا الكتاب بعدد من التسميات منها: أجوبة الرماصي، والأجوبة، وأجوبة الرماصي عن أسئلة التطواني، وأجوبة عن أسئلة تتعلق بالمختصر... إلى غير ذلك من التسميات؛ وأصل هذا الكتاب مجموعة من الأسئلة التي استشكلها الحاج أبو الحسن علي بركة التطواني، فأرسلها إلى علماء القاهرة ليجيبوه عنها، غير أنهم اعتذروا بأنهم غير مشتغلين بالأجوبة، فأخذها المرسَل معه إلى البلاد الجزائرية فأجابه عنها العلامة الرماصي.

وقد كتب الله لهذه الأسئلة القبول فانتفع بها كثير من العلماء ونقلوا عنها في كتبهم على نحو ما قدمنا، ولئن كان الشيخ الرماصي قد عاتب السائل كثيرا، فكان الغرم على الشيخ علي بركة، والغنم لكل من جاء بعده.

3. تقييد على شرح الخرشي على مختصر خليل:

وهي مجموعة من الانتقادات التي سجلها على شرح الخرشي على المختصر، توجد نسخة منه بخزانة الجامعة الإسلامية بالمملكة السعودية برقم: (5354/7).

4. كفاية المريد على شرح عقيدة أهل التوحيد:

شرح به العقيدة السنوسية الصغرى، فرغ من تأليفه سنة: أربع وعشرين ومائة وألف:(1124هـ)، نسبه إليه إسماعيل البغدادي في إيضاح المكنون، وفي هدية العارفين.[3] قال أبو القاسم سعد الله: «... وضع أيضا حاشية على شرح صغرى السنوسي، قال إن بعض المعاصرين من إخوانه طلب منه ذلك، فأجابهم إلى طلبهم، ولم يذكر

---

(1) بلغة السالك لأقرب المسالك، للصاوي: (6/1).

(2) منح الجليل شرح مختصر خليل، للشيخ عليش: (65/2) وما بعدها.

(3) البغدادي، إيضاح المكنون: (374/4). البغدادي، هدية العارفين: (311/2). وتوجد نسخة منه بالمكتبة المركزية بمسجد السيدة زينب بمصر برقم: (4798/2)، كما توجد منه نسخة أخرى بالمكتبة العبدلية بجامع الزيتونة بتونس رقم حفظها: (20/3: 1318)، وأخرى بدار الكتب الوطنية برقم: (1556)، وأخرى بدار الكتب المصرية برقم:(204/1)، وواحدة بالمكتبة الوطنية ببرلين برقم: (2018)، وأخرى بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالسعودية رقم حفظها: (13465) ومنه جزء بخزانة الشيخ البشير المحمودي الجامع للمخطوطات الإسلامية، خزانة التراث: (722/44، 744).

الرماصي المنهج الذي سار عليه في تعليقه، بل دخل مباشرة في عمله، فبدأ يبين ألفاظ ومعاني كلام السنوسي... وإنما أضاف إليه معارفه الخاصة وأسلوبه، وهذه الحاشية تعد جهدا ضخما إذا حكمنا من حجمها».[1]

وقد ختم الرماصي تأليفه المذكور بقوله: «هذا آخر ما يسر الله جمعه على عقيدة الشيخ العارف بالله السنوسي نفعنا الله به آمين، والسلام منّي على كل من وقف عليه، طالبا منه إخلاص الدعاء، والإغضاء عما وقع فيه من الخلل، فأنا لست أهلا لذلك، ولكن حملني عليه بعض الإخوان، ممن له رغبة فأسعفته لذلك وأضرع إلى الله أن يجعله خالصا لوجهه وأن لا يكون حجة علينا بمنه، وكان فراغنا منه يوم الجمعة بعد صلاة العصر يوم عاشوراء مفتتح عام 1107هـ، وبالله التوفيق».

5. قصيدة في رثاء شيخه عمرو التراري بن أحمد المشرفي:(2)

أشار إلى هذه القصيدة صاحب كتاب تاريخ الجزائر الثقافي فقال: «ولا شك أن الرثاء يكون أصدق إذا قيل في الشيوخ والأصدقاء والأقارب، ولكننا لا نجد من هذا إلا القليل كما ذكرنا، ومن ذلك رثاء مصطفى الرماصي القلعي لشيخه عمرو التراري بن أحمد المشرفي، وهي قصيدة جيدة وطويلة (150بيتا).
ويقال إن الرماصي قد نسج فيها على منوال أبي حيان في رثاء شيخه أيضا في وزنها وقافيتها وعدد أبياتها».[3]
وتبدأ هذه المرثية بهذه الأبيات:

خَلِيلَيَّ عُوجَا بِي عَلَى طُلُلٍ عَفَا *** مَعَالِمُهُ قَدْ غُيِّرَتْ وَمَعَـاهِـــدُه

وَأَسْفَتْ عَلَيْهِ اَلسَّافِيَاتُ بُعَيْدَنَـا *** دِقَاقَ اَلحَصَا فَانْحَطَّ مِنْهَا أَجَالِـدُه

4. مكانته وثناء العلماء عليه ووفاته

1.4 مكانة الإمام الرماصي العلمية وثناء العلماء عليه.

لعل المطلع على مصادر ترجمة الشيخ الرماصيّ، يجدها اتفقت على إعطائنا صورة مشتركة عن أخلاق الشيخ رحمه الله، فهي تحكي أن الرماصي قد اشتهر بجميل الأخلاق، وبالديانة والورع والصلاح والمتانة في العلم والدين، والجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى، وطرد المحتل، فضلا عن كونه ناسكا متعبدا مكثرا لذكر الله تعالى، مداوما على صيام الإثنين والخميس.[4]

---

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، لأبي القاسم سعد الله: (2/96-97).

(2) توجد مخطوطة في كناش أبي حامد المشرفي، وهو موجود بالخزانة العامة بالرباط، رقم حفظه: (ك471) ومنه نسخة أخرى منها أيضا برقم: (2787 د).

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، لأبي القاسم سعد الله: (2/279).

(4) ينظر تعريف الخلف برجال السلف، للحفناوي: (ص:530).

يقول عنه مترجمه الرئيس الحفناوي: «كان رحمه الله ممن اشتهر بالتحقيق والتحرير والمتانة في الدين، وسمع الكلمة عند السوقة والأمير، مع لين جانب وتؤدة وتسليم، وسريرة صافية وقلب سليم؛ ومع ذلك ربما يقول في بعض فتاويه لمن يتخيل منه إباية أو تساهلا فيما يلقى عليه: فإن امتثلت وإلا فسهام الشريعة صائبة مسمومة، وعادة الله بهتك من أعرض عنها واضحة معلومة».[1]

كما أسس بجهده الخاص رباطا، فكان فيه دائم العبادة والتدريس للطلبة والمتعلمين، ولم ينقطع عن التدريس رغم ظروف الحرب القاسية، كم يفيدنا تلميذه عبد الرحمن الجامعي، حيث وجده يسكن بأهله بيوت الشعر قرب غابة في رأس جبل ببلده، وكان يأوي إلى أهله ليلا ويظل بالنهار في داره ومسجده يطالع كتبه ويقرئ طلبته.[2] وقد لعب هذا الرباط دورا كبيرا في تجنيد الطلبة للجهاد، فكانوا يتلقون فيه العلوم ويشاركون في الجهاد في نفس الوقت.[3] بل إن أبا القاسم سعد الله أخبرنا بأنه كان ممن شارك بنفسه في فتح وهران الأول عام:(1119هـ) فقال: «ساهم العلماء في الحروب أمثال الرماصي، وابن حوا، وأبي رأس، وابن زرفة[4] ويقول في موضع آخر: «وكثير من العلماء والصلحاء كانوا مجاهدين إما بطريقة غير مباشرة كما كان المجاجي، وإما بطريقة مباشرة كما فعل مصطفى الرماصي وأمثاله».[5]

أما مكانته العلمية فهي ظاهرة من خلال النقول التي أسلفنا، كما تُعلم تدرك من خلال كتبه التي خلفها، والتي بالرغم من قلتها إلا أنها كافية لمن تأملها بإعطاء صورة عن مكانة هذا الرجل العلمية والمعرفية داخل المذهب المالكي، فقد كان لا يخشى في الله لومة لائم، وأنى لاح له الحق تبعه وعمل به.

وبخصوص ثناء العلماء عليه فمن أحسن ما قيل فيه بالإضافة لكلام الحفناوي المتقدم، قول تلميذه عبد الرحمن الجامعي:

«حامل راية الفقه المالكي في عصره ومصره».[6] وقال عنه في موضع آخر: «العلامة الدرّاكة الفهامة الدراية الناقد، سراج التحقيق الوقاد منهل العلوم الأصفى».[7]

---

(1) نفسه: (ص:567).

(2) تاريخ الجزائر الثقافي: (202/1-203).

(3) يقول أبو القاسم سعد الله: «كما اشتهر من علماء الرباطات أيام الفتح الثاني محمد بوجلال والطاهر بن حوا ومحمد ابن علي الشارف المازوني وولداه، وكذلك محمد المصطفى بن زرفة. وقد أقاموا تحت رئاسة بوجلال عند جبل المائدة قرب وهران للتضييق على الكفار وكانوا هناك يدرسون ويحاربون أيضا». تاريخ الجزائر الثقافي:(272/1).

(4) ينظر تاريخ الجزائر الثقافي: (199/1).

(5) نفسه: (202/1).

(6) شرح أرجوزة الحلفاوي التلمساني، للشيخ عبد الرحمن الجامعي، (ص:53).

(7) نفسه: (ص:53).

وقال عنه الحفناوي: «العلامة المتفنن، الجهبذ النقاد المدقق، من أذعنت له في وقته الأقران، ولم يختلف في فضله وسعة علمه اثنان، وتزاحم على بنات فكره وعرائس سره الداني من أهل العلم والقاصي».[1]

ووصف تآليفه بقوله: وتآليفه رحمه الله بديعة عزيزة المقال، لا يزال الأفاضل يقتنونها مستصغرين فيها نفائس الأموال.

ومما يستطرف ويستظرف ذكره هنا ما حكاه الشيخ الحفناوي، من أن الشيخ الرماصي والشيخ عمر بن دوبة والشيخ العربي بن الحطاب، كانوا مسافرين إلى مازونة لقراءة الفقه على أحد شيوخها، وذات يوم أذن لهم الشيخ في الانصراف وأمر كل واحد بالرجوع إلى وطنه، وقال للشيخ مصطفى: أنت المذهب، وللشيخ عمر: أنت الولي، وللشيخ العربي: أنت البندير، ففرح الأولان واهتم الثالث واغتاظ.[2]

1.5 وفاة الإمام الرماصي.

اختلفت المصادر التاريخية التي ترجمت للشيخ الرماصي فحكى بعضها أن وفاته كانت سنة: (1136هـ/1723م)، وروى بعضها الآخر أنها كانت سنة: (1137هـ) ولم تذكر لنا شيئا عن سبب ذلك أو عن جنازته. أما مكان دفنه فقد دفن رحمه الله في مسقط رأه رماصة، وقبره بها معروف يزار.[3]

كما أفادنا الشيخ الكتاني بأنها كانت عن سن عالية جاوزت التسعين، فقال: «الشيخ مصطفى بن عبد الله بن موسى الرماصي القلعي المعسكري المتوفى سنة:(1136هـ) عن سن عالية جاوز التسعين».[4]

وقال الحفناوي في تعريف الخلف: «ولم نقف أيضا على تعيين مولده ووفاته، غير أنه كان في حدود أوائل القرن الثاني عشر، بيقين بمستندات لا شبهة فيها ولا مين».[5]

5. خاتمة:

بعد هذه الجولة السريعة في رحاب هذا البحث، وفي حياة هذا العالم الفذ، والتي تناولت فيها شذرات وملامح من سيرته وعطائه، بحسب ما سمح به هذا المقام، وقد اختصت بذكر اسمه ونسبه ونشأته وطلبه للعلوم، وكذا ذكر شيوخه وتلاميذه، وانتهاء ببيان مكانته وثناء العلماء عليه وآثاره العلمية. وقد أدى بنا هذا إلى جملة من النتائج منها:

1. أن الإمام الرماصي قامة علمية كبيرة، وفقيه فذ، ونقادة ماهر، له قدم راسخ في الفقه، وإسهامات طيبة في المذهب المالكي، وعلم العقيدة، وغيرهما.

---

(1) تعريف الخلف برجال السلف، للحفناوي: (ص:567).

(2) نفسه: (ص:567).

(3) تعريف الخلف برجال السلف: (ص:568).

(4) فهرس الفهرس: (507/1).

(5) انظر شجرة النور الزكية: (482/1)، فهرس الفهرس: (507/1)، معجم أعلام الجزائر: (ص: 152).

2. إن الإمام الرماصي رحمه الله، لم يلق من العناية والاهتمام ما يناسب مكانته العلمية، ومنزلته الفقهية. فلازالت البحوث والدراسات حول هذا الرجل وسيرته وعطاءاته تعد على رؤوس الأصابع.

3. لقد ساهم الإمام الرماصي من خلال نتاجه الفقهي في تطوير الاتجاه النقدي في المذهب المالكي، فالناظر في "حاشيته على شرح التتائي"، وفي "أجوبته على أسئلة الشيخ علي بركة التطواني" لا تخطئ عينه ذلك النقد والتدقيق والتمحيص الذي امتازت به هذه المصنفات. ويكفي في ذلك أن هذه الحاشية من الكتب المعتمدة في الفتوى. ولا يعتمد شرح التتائي إلا مع مقرونا بهذه الحاشية المباركة.

4. ترك الإمام الرماصي آثارا واضحة فيمن جاء بعده من فقهاء ، يشهد لذلك اعتماد كتبه في المذهب، وكثرة الناقلين عنه والمقتبسين منه.

هذا وأوصي ختاما الباحثين والمهتمين بمواصلة العمل على التراث العلمي الذي خلفه هذا الإمام عبر الكشف عما خفي من مصنفاته ومؤلفاته، ثم العمل على إخراج ما بقي منه حبيس الخزائن والرفوف، كحاشيته الشهيرة على التتائي، إذ لم يصدر منها إلا جزء صغير جدا، ولازال معظمها محجوبا عن الناظرين، وكذا شرحه على العقيدة السنوسية، بالإضافة إلى كتبه الأخرى.

فضلا على ضرورة تعميق البحوث والدراسات المرتبطة بالمنهجية الفقهية والأصولية عنده من خلال استقراء تراثه وإنتاجه العلمي، واستخلاص مناهج وملامح الفرادة فيه؛ إذ لكل مصنف سياقه وظروفه وإضافته المعرفية إلى المكتبة الإسلامية.

وختاما، أسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد والقبول، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علما وفهما، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

6. قائمة المراجع:

- أجوبة الرماصي على أسئلة بركة التطواني فيما أشكل عليه من كلام مختصر خليل وبعض شروحه. تحقيق الباحثين عبد الفتاح مغفور، وعبد الباسط صيد. طبع ذاكرة الأمة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالجزائر عام: 2015م.
- الأعمال الكاملة، للمهدي البوعبدلي، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر. الطبعة الأولى: 2013م.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل بن محمد أمين البغدادي. عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان. بدون تاريخ، وبدون طبعة.
- بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير. لأبي العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي. دار المعارف، بدون طبعة، وبدون تاريخ.
- تاريخ الجزائر الثقافي، لأبي القاسم سعد الله. دار البصائر للنشر والتوزيع– الجزائر، طبعة خاصة 2007 م. مصورة عن طبعة دار الغرب الإسلامي.
- تعريف الخلف برجال السلف، لأبي القاسم محمد الحفناوي، طبع بمطبعة بيير فونتانة الشرقية بالجزائر: 1906م.
- شرح الزُّرقاني على مختصر خليل، ومعه الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني، ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد السلام محمد أمين دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 2002م.
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، دار الفكر، بدون طبعة، وبدون تاريخ.
- حاشية العدوي، لأبي الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر – بيروت، بدون طبعة. 1994م.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية: 1988م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، علق عليه:

عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى: 2003م.

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لمحمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية: 1982م.
- مصادر الفقه المالكي، لبشير ضيف، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى: 2008م.
- مصطلحات المذاهب الفقهية وأسرار الفقه المرموز في الأعلام والكتب والآراء والترجيحات، لمريم محمد صالح الظفيري، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى: 2002م.
- مُعجَمُ أعلام الجزائر – مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية: 1980م.
- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت. بدون تاريخ، وبدون طبعة.
- المكتبة الإسلامية، لعماد علي جمعة، سلسلة التراث العربي الإسلامي، الطبعة الثانية: 2003م.
- منح الجليل للشيخ عليش، لمحمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي. دار الفكر – بيروت1989م، بدون تاريخ، وبدون طبعة.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد أمين البغدادي. الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية إستانبول 1951م. أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

- **المواقع الإلكترونية:**
- https://majles.alukah.net/t124948 :
- https://ar.wikipedia.org/wiki/